تعذّر ترجمة القرآن الكريم أمام المطلب الثقافي

عزيز عبد الإله ولهاصي
جامعة سيدي بلعباس

Abstract:

The reason Orientalist practiced for centuries translation gloss Koran within its research and multiple works, exaggerates a lot in his attempts to separate the Koran as a historical document helps to understand the archeology of Islam and thought back to the moment of revelation in the Arabian Peninsula from the fact of being a book of guidance in creed, religion, Moral.

Keywords:

Orientalist -translation- historical document- religion- Moral

بحلول القرن الحادي والعشرين الميلادي برزت ظاهرة جديدة بدأت تنشأ متزامنة مع سوء سمعة مصطلح الإستشراق والمستشرقين في الأوساط الشرقية عموما، والإسلامية على وجه الخصوص، تمثلت في تسليم بعض المستشرقين الراية إلى تلاميذهم من المنتسبين للأمة الإسلامية وإتاحة الفرصة الكاملة لهم لترداد الأفكار التي تشربوها منهم مع التكفل بإبرازهم وخدمة إنتاجهم العلمي وتوارى هذا النفر من المستشرقين عن الأضواء والبروز المباشر وهي تضحية أملتها طبيعة النظرة المرتابة إلى الإستشراق والمستشرقين في الأوساط الإسلامية.

لا أحد ينكر تغير المنهج الاستشراقي في هذا المجال نحو الأفضل و الأحسن، فثمة فرق بين الإستشراق القديم و الإستشراق المعاصر، لكنه فرق في الدرجة فقط وليس في النوع، لقد أضحى الإستشراق المعاصر أقدر على تفهم واستيعاب بعض قضايا ومسائل علوم القرآن وإيحاءاتها عكس ما كان سائدا قبل مطلع القرن العشرين؛ حيث كانت أبحاث المستشرقين القرآنية يطبعها منهج سافر يوجه من خلاله الشتم والسب في حق القرآن الكريم، والنبي عليه الصلاة والسلام.

المنارة للاستشارات
www

ولا نخفي أنه بعد الاجتهاد في الأمر والنظر مليا في اتجاهات الإستشراق وتحولاته، تبين أن رجلا لقب بشيخ المستشرقين في الدراسات القرآنية، كان يمثل فعلا حلقة وصل بين المنهج الاستشراقي القديم والمنهج الاستشراقي المعاصر، ويمثل فكر الرجل الذي هو تيودور نولدكه Theodor Noldeke في هذا المجال كتابه الشهير (تاريخ القرآن) Geschichte des Qorans الذي يعد دستور المستشرقين في معرفة تاريخ القرآن، حتى أضحى الكتاب أبرز المصادر التي لا يستغني عنها الباحثون الغربيون في ميدان القرآنيات، فهو عرض تاريخي مفصل لكل المسائل والموضوعات التي تتصل بتاريخ القرآن الكريم وعلومه ومختلف مباحثه وقضاياه، منذ نزول الوحي إلى عصر المؤلف.

يمكن اعتبار كتاب نولدكه منعطفا بارزا في سياق البحث الاستشراقي في الدراسات القرآنية، ومما زاد تكريس هذا الأمر " اهتمام المستشرقين المتأخرين كافة بالكتاب، واتكائهم عليه في أبحاثهم و دراساتهم، حتى إنه لا يكاد يخلو مؤلف في الموضوع من الاعتماد على الكتاب ومتابعة صاحبه فيما ذهب إليه من آراء ومواقف" [1]، ولا يمكن أن ننسى بهذا الصدد دور مدرسة نولدكه الألمانية في حقل القرآنيات، وهي مدرسة اشتهرت على غرار غيرها من المدارس الأوروبية؛ حيث" برز فيها ثلاثة رواد رابعهم شيخهم نولدكه الذي عهد إلى هؤلاء التلامذة شفالي Friedrich Schwally، وأوتو برتزل Otto Pretzel، وبرجشتراسر Gotthelf Bergsträsser مهمة تنقيح الكتاب والتعليق عليه، وهو ما حصل فعلا عندما تم إخراج جزأين منه عام 1919م، في حين تم إصدار الجزء الثالث عام 1926م" [2].

لذلك اهتموا بترجمة معاني القرآن الكريم اهتماما كبيرا، ويشجعهم في هذا العمل العدائي ضد كتاب الله الكريم كون عدد قارئي الترجمات أكثر من عدد قارئي النص العربي،وبعبارة أخرى كون المسلمين غير العرب أكثر من المسلمين العرب.

و مادام الأمر بهذه المثابة؛ فلا شك أن القيام بواجب البيان والتحذير من تلكم الأخطاء العقدية من الواجبات العظام، ومن فروض الكفايات، وهو ضرب من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن التواصي بالحق، ومن النصح لكل مسلم.

إنّ ضعف التحصيل العلمي و اللّغوي للمترجمين أدّى إلى الوقوع في الأخطاء العقدية،مثل ما وقع فيه محمد أسد في ترجمته لصحيح البخاري حين رفض تعريف جماهير أهل العلم للصحابي؛ وهو: " من رأى النبي عليه الصلاة والسلام مؤمنا به ومات على الإسلام"3، زاعما أن هذا من إفرازات القرون

المنارة للاستشارات
www

المتأخرة، وأن علماء المسلمين كانوا يعدون الصحابي نوعا مختلفا، فهو عندهم من كان مقربا من النبي عليه الصلاة والسلام وخالطه وجعله قدوة له، وثبت معه في المواقف الحرجة منذ وقت مبكر.

و كون هذا عملهم في شرح نصوص الكتاب والسنة باللغة العربية التي يفهمها أهل العلم، وفي إمكانهم الاطلاع على تحريفاتهم والرد عليها، فكيف سيكون الحال في الترجمات التي لا يطلع عليها غالبا إلا جهال المسلمين؛ لا سيما من كان منهم حديث عهد بالإسلام؟

لذا فإن اللغة والثقافة مطلبان أساسيان في الفعل الترجمي للقول الخفيف، ولكنهما غير كافيين في القول الثقيل. ولذلك اشترط العلماء في مترجم القرآن ما اصطلح عليه ب"الوعي الترجمي" وهو المقدرة على تمثل النص القرآني والإحاطة به في ذاته وسياقه، إحاطة لغوية وثقافية وشرعية، إحاطة تقتضي من المترجم وعيا ترجميا بخصوصية الفعل الترجمي للقرآن الكريم.

فالمطلب الثقافي يعتبر رافدا من الروافد الأساسية التي تزيد من وعي المترجم بما يترجم، فالقرآن نزل جريا على عادات العرب في كلامها، فعبر عن عاداتهم بعاداتهم، فأقر بعضها وألغى أخرى، ولم يكن القرآن أبدا غريبا عن بيئتهم، فمن شبه جزيرة العرب شق طريقه ليكون رسالة للعالمين. فلا مناص إذا للمترجم أن يكون على إلمام بالثقافة العربية، لأنها مدخل لفهم القرآن ولغة القرآن وشريعة القرآن.

فكلما كان المترجم على إلمام واسع بالمطلب الثقافي، كان وعيه الترجمي عميقا بالنص القرآني، وكانت مقاربته واعية بالمخزون الثقافي للقرآن الكريم، وإلا فإن أقصى ما يمكن أن يصل إليه المترجم الفاقد للوعي الترجمي هو الدلالات السطحية للمفردات مجردة من حمولتها الثقافية.

تطرح ترجمة المصطلحات الإسلامية إلى لغة ثانية صعوبات كثيرة أثناء ترجمتها إلى لغة ثانية. ومرد هذه الصعوبات تتصل أساسا بدلالة الكلمات وحدود معانيها بين لغة وأخرى. وتعود كذلك إلى عدم وجود مقابل صحيح ودقيق لهذه المصطلحات في اللغة الأجنبية. لأنها تحمل مفاهيم وتصورات ودلالات غير معروفة في هذه الأخيرة، بسبب اختلاف تجارب الفرد مع اللغة في كلا الثقافتين، واختلاف الأحداث الاجتماعية التي ترتبط بها اللغة وتتلون دلالة كلماتها تبعا للأحداث التي تعرفها. وقد سبق أن عبر كتفورد JOHN CUNNISON CATFORD عن هذه الوضعية بقوله:

"إن تعذر ترجمة الثقافي يبرز عندما تكون إحدى الوضعيات المتميزة والهامة من الناحية الوظيفية لنص في اللغة المصدر غريبة تماما عن الثقافة التي تعتبر اللغة المستهدفة جزءا منها"[4].

المنارة للاستشارات

وتتجلى الصعوبة كذلك في كون اللغة ليست قائمة كلمات يكفي استبدال كلمة بأخرى للحصول في اللغة الثانية على المقابل المطلوب، كما يقول جورج مونانGeorge Mounin،"لو كان الأمر كذلك، لسهلت الترجمة ولأصبح بمقدورنا دائما أن نترجم ترجمة حرفية وكلمة كلمة"5.

نخلص إلى القول بأنّ تعذر الترجمة يعود أساسا لكونها تجمع بين نظامين لغويين متمايزين، أي بين ثقافتين مختلفتين للكون وللواقع. ذلك لأن دلالة الكلمات ترتبط في ذهن الفرد بمجموعة من التجارب الخاصة والأحداث الاجتماعية التي يمر بها. لذا فإنها توحي بظلال و إيحاءات قد تختلف من فرد لآخر من نفس البيئة. لكن "لا يعني هذا أن التفاهم غير ممكن بين اللغات، بل هناك قدر مشترك لدلالة الكلمات يتم على أساسه التعامل بين الأفراد" [6]. فإذا كانت دلالة الألفاظ وإيحاءاتها قد تختلف لدى أفراد نفس البيئة، فما بالنا إذا تغربت الكلمة وخرجت من محيطها أو بيئتها الاجتماعية إلى بيئة أو لغة أخرى.

هنا يبرز دور المترجم. فهذا الأخير، كما يقول إبراهيم أنيس " يحتاج، في مثل هذه الحالة، إلى بذل جهده للحصول على ما يناظرها أو يرادفها في دلالتها، لتؤدي في ذهن السامع الجديد في البيئة الجديدة نفس الدلالة، أو ما يقرب منها في بيئتها الأصلية. وهنا يمكن أن يقال إن المترجم قد وفق في مهمته، وأعطى صورة صحيحة لدلالة الكلمة"[7].

ومن هنا أصبحنا أمام معجم جديد يشمل ألفاظ وتراكيب إما مستحدثة استحداثا، أي أنها لم تكن معروفة في المجتمع الجاهلي، أو مشتقة مما كان موجودا في العربية ولكن الإسلام أضفى عليها دلالات جديدة مغايرة عما عرفت به من قبل، مثل "الجنة"، "الإيمان"، "الهدى"، "الجهاد"، "الوضوء"، "الرسول"، "النبي" وغيرها من الكلمات والتعابير المحملة بمفاهيم جديدة والمعبرة عن الرؤية الإسلامية.

الإحالات :

[1] دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية أضاليل وأباطيل ،د. إبراهيم عوض،1998. ص163

[2] Theodor Noldeke: Geschichte des corans (GdQ): Leipzig 1919 (Tome1-2) (2/56)

[3] فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار المعرفة - بيروت، 1379 - تعليق ابن حجر في (5/7).

[4] Catford ، A linguistic theory of translation; an essay in applied linguistics ; London, Oxford University Press, 1965 ;P65

[5] Mounin، Georges, Les Problèmes théoriques de la traduction, Gallimard, 1963 et « Tel » n° 5, *1976*. ..

المنارة للاستشارات

[6]-ابراهيم أنيس،دلالة الألفاظ ، مكتبة الأنجلو المصرية،الطبعة الخامسة،1984 ص. 251.
[7]- نفسه، ص. 173.

المنارة للاستشارات
ww